عزم الإمام علي (ع) على قتال معاوية بعد الفراغ من الخوارج

<"xml encoding="UTF-8?>

1 – تاريخ الطبري عن أبي الدرداء : كان عليّ لمّا فرغ من أهل النهروان حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : إنّ الله قد أحسن بكم ، وأعزّ نصركم ، فتوجّهوا من فَوْركم هذا إلى عدوّكم .

قالوا : يا أمير المؤمنين ، نفدت نبالنا ، وكلّت سيوفنا ، ونصلت أسنّة رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً ، فارجع إلى مصرنا ، فلنستعدّ بأحسن عدّتنا ، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عدّتنا عدّة مَن هلك منّا ؛ فإنّه أوفى لنا على عدوّنا .

وكان الذي تولّى ذلك الكلام الأشعث بن قيس .

فأقبل حتى نزل النُّخَيلة (1) ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يُقلّوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوّهم .

فأقاموا فيه أيّاماً ، ثمّ تسلّلوا من معسكرهم ، فدخلوا إلاّ رجالاً من وجوه الناس قليلاً ، وتُرك العسكر خالياً ، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيُه في المسير (2) .

2 – الغارات عن طارق بن شهاب : إنّ عليّاً (عليه السلام) انصرف من حرب النهروان حتى إذا كان في بعض الطريق نادى في الناس فاجتمعوا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ورغّبهم في الجهاد ، ودعاهم إلى المسير إلى الشام من وجهه ذلك ، فأبوا وشكوا البرد والجراحات ، وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراحات في الناس .

فقال : إنّ عدوّكم يألمون كما تألمون ، ويجدون البرد كما تجدون .

فأعيوه وأبوا ، فلمّا رأى كراهيتهم رجع إلى الكوفة وأقام بها أيّاماً ، وتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه ؛ فمنهم مَنْ أقام يرى رأي الخوارج ، ومنهم مَنْ أقام شاكّاً في أمره (3) .

3 – تاريخ الطبري عن زيد بن وهب : إنّ عليّاً قال للناس – وهو أوّل كلام قاله لهم بعد النهر – : أيّها الناس ، استعدّوا إلى عدوّ في جهاده القربة إلى الله ، ودرك الوسيلة عنده .

حَيارى في الحقّ ، جفاة عن الكتاب ، نُكْب (4) عن الدين ، يَعْمَهون في الطغيان ، ويُعْكَسون في غمرة الضلال ، ف (أَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ) (5) وتوكّلوا على الله ، وكفى بالله وكيلاً ، وكفى بالله نصيراً .

قال : فلا هم نفروا ولا تيسّروا ، فتركهم أيّاماً حتى إذا أيِس من أن يفعلوا ، دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يُنظِرهم (6) ؟ فمنهم المعتلّ ، ومنهم المكرَه ، وأقلّهم من نشط ، فقام فيهم خطيباً فقال :

عبادَ الله ! ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثّاقلتم إلى الأرض ! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، وبالذلّ والهوان من العزّ ! أوَ كلّما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنّكم من الموت في سَكرة ، وكأنّ قلوبكم مألوسة (7) فأنتم لا تعقلون !

وكأنّ أبصاركم كُمْه فأنتم لا تبصرون .

لله أنتم ! ما أنتم إلاّ أُسود الشَّرى في الدَّعة ، وثعالب روّاغة حين تُدعون إلى البأس ، ما أنتم لي بثقة سَجِيس الليالي (8) ، ما أنتم برَكب يُصال بكم ، ولا ذي عزّ يُعتصم إليه .

لعمر الله ، لبئس حُشّاش الحرب أنتم ! إنّكم تُكادون ولا تكيدون ، ويُتنقّص أطرافكم ولا تتحاشون ، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون ، إنّ أخا الحرب اليقظانُ ذو عقل ، وبات لذلٍّ مَن وادَعَ ، وغلب المتجادلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب .

ثمّ قال : أمّا بعد ؛ فإنّ لي عليكم حقّاً ؛ وإنّ لكم عليَّ حقّاً ، فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيما لا تجهلوا ، وتأديبكم كي تعلّموا ، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح لي في الغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يُرِد الله بكم خيراً انتزعتم عمّا أكره ، وتَراجعوا إلى ما أُحبّ ، تنالوا ما تطلبون ، وتُدركوا ما تأملون (9) .

---

(1) النُّخَيلَة – تصغير نخلة – : موضع قرب الكوفة على سمت الشام ، وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام علي (عليه السلام) (معجم البلدان : 5 / 278) .

(2) تاريخ الطبري : 5 / 89 ، الكامل في التاريخ : 2 / 408 ، مروج الذهب : 2 / 418 وفيه إلى " النُّخَيلة " ، الإمامة والسياسة : 1 / 170 ، شرح نهج البلاغة : 2 / 192 ، البداية والنهاية : 7 / 307 عن عيسى بن دآب وكلّها نحوه .

(3) الغارات : 1 / 28 .

(4) نَكّب عن الشيء : عَدَل (لسان العرب : 1 / 770) .

(5) الأنفال : 60 .

(6) من الإنظار : التأخير والإمهال (النهاية : 5 / 78) .

(7) من الألْس ؛ وهو اختلاط العقل (النهاية : 1 / 60) .

(8) سَجيس الليالي : أي أبداً (النهاية : 2 / 343) .

(9) تاريخ الطبري : 5 / 90 ، أنساب الأشراف : 3 / 153 ، الكامل في التاريخ : 2 / 408 ، الإمامة والسياسة : 1 / 170 ؛ الغارات : 1 / 33 كلّها نحوه .